

العنوان:	المعالم الأثرية فى مدينة مكناس: آليات الصيانة والإنقاذ
المصدر:	دورية كان التاريخية
الناشر:	مؤسسة كان التاريخية
المؤلف الرئيسي:	عبيدى، سعيد
المجلد/العدد:	س11, ع41
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	105 - 101
رقم MD:	995957
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التراث المعماري، الفترات الاستعمارية ، مدينة مكناس، التجارب الدولية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/995957

المعالم الأثرية في مدينة مكناس آليات الصيانة والإنقاذ

د. سعيد عبيدي

أستاذ باحث في التراث والتنمية

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين - فاس

مكناس - المملكة المغربية



ملخص

يتناول هذا المقال جوانب من التراث المعماري لمدينة مكناس وآليات الصيانة والإنقاذ، وذلك بمنهج استنباطي ينطلق من استعراض بعض النصوص التشريعية والقانونية لحماية التراث الثقافي في المغرب، ثم محاولة إبراز حظ المدينة الإسماعيلية من هذه القوانين عامة، ومن سياسة رد الاعتبار لكونها عمارتها الدينية والمدنية والعسكرية التي يتألف منها نسيجها العمراني العتيق، مما مكن من الخروج بعدة نتائج أبرزها يتمثل في أنه رغم المجهودات المبذولة لحماية التراث ورد الاعتبار لمعمار مدينة مكناس، فإن مسلسل التدهور والتلاشي يفوق بكثير الاستراتيجيات المعتمدة في هذا الشأن لصيانة وإنقاذ معالمها المعمارية التي تم تشييدها خلال العصر الوسيط والحديث والفترة الاستعمارية، مما يحتم على الجهات المعنية بذل جهود مضاعفة تستلهم التجارب الناجحة دولياً وطنياً في إدارة التراث وتثمينه.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٩ أبريل ٢٠١٦
تاريخ قبول النشر: ١٥ أغسطس ٢٠١٦

كلمات مفتاحية:

مدينة مكناس، التراث المغربي، المعالم الأثرية، المباني التاريخية، التراث العمراني

DOI 10.12816/0053272

معرّف الوثيقة الرقمي:

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

سعيد عبيدي، "المعالم الأثرية في مدينة مكناس: آليات الصيانة والإنقاذ". دورية كان التاريخية، السنة الحادية عشرة - العدد الواحد والأربعون، سبتمبر ٢٠١٨، ص ١٠٥ - ١٠٠.

مقدمة

بسحب الاعتراف بمدينة مكناس كثراث عالمي للإنسانية إذا لم يتم ترميم معالمها التاريخية المقيمة في عداد الآثار. وتهدف مباحث هذا المقال الموسوم بـ "المعالم الأثرية بمدينة مكناس: آليات الصيانة والإنقاذ" إلى التعريف بتراث مدينة مكناس الغني والمتنوع الروافد والجهود المبذولة في سبيل الحفاظ على الموروث التاريخي والأثري للحاضرة الإسماعيلية.

أولاً: الموقع الجغرافي والتطور التاريخي

لمدينة مكناس

١-١- الموقع الجغرافي لمدينة مكناس

تقع مدينة مكناس في المنطقة الجنوبية الوسطى ويحدها شمالاً إقليم سيدي قاسم والقنيطرة، وجنوباً إقليم إيفران وخنيفرة، وشرقاً مدينة فاس، وغرباً إقليم الخميسات. وتبعد مدينة مكناس عن العاصمة الإدارية الرباط بحوالي ١٤٠ كلم. وتتميز المدينة

تعتبر مدينة مكناس بمعالمها التاريخية ومبانيها الأثرية المتنوعة ما بين الأسوار، الأبواب، الأبراج والقصور وغيرها، إحدى العواصم التاريخية للمغرب. ومدينة عريقة تشكل نموذجاً معمارياً متميزاً للمعمار المغربي الأصيل المتسم بالإتقان في الصنعة والتحكم في التقنية والمزج بين الفنية والجمالية، مما جعل هذه المدينة السلطانية تصنف في ٧ دجنبر ١٩٩٦ تراثاً عالمياً من لدن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة المعروفة اختصاراً باليونسكو. وقد عرفت مدينة مكناس منذ بداية الألفية الثالثة ترميم عدد من المعالم التاريخية للمدينة، نتيجة الإهمال الذي طال غالبية المباني الأثرية المقيمة في عداد الآثار بحاضرة مكناس. مما أدى إلى تدهور كثير من المعالم الأثرية لمدينة الإسماعيلية وانهباء بعضها، وهذا ما جعل منظمة اليونسكو توجه إنذاراً وتهدد

المنشآت المرينية بجنوحها إلى المزج بين الطابعين الفني المغربي والأندلسي. وفي عهد الوطاسيين والسعديين لم تشهد مكناس مشاريع عمرانية جديدة، نتيجة المرحلة القصيرة للحكم الوطاسي بالمغرب واتخاذ السعديين لمدينة مراكش عاصمة لهم، فضلاً عن الانشغال بصد الغزو الأيبيري للسواحل المغربية، الذي جعل الاهتمام ينصب على المدن الساحلية أكثر من الحواضر الداخلية. تحول مسار مدينة مكناس منذ أن اتخذها المولى إسماعيل (١٦٧٢-١٧٢٧) عاصمة للملكة، حيث أن اهتمامه بتشييد معالمها لم يكن أقل شأنًا من اهتمامه بترسيخ أسس العلاقات الدبلوماسية مع دول العالم شمالاً وجنوباً، وبذلك جعل منها مفخرة العصر لدرجة جعلت المؤرخ الفرنسي سان ألون سفير لويس الرابع بقوله: "لقد كان المولى إسماعيل يريد أن يحدث لأمته آية من آيات ملكه".^(٨)

ثانياً: النصوص التشريعية والقانونية لحماية التراث المغربي

١/٢- المقاربة الاستعمارية لحماية التراث المغربي (١٩١٢-١٩٥٦)

عرفت المدن المغربية تطوراً كبيراً بعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسية في ٣٠ مارس سنة ١٢١٩، نتيجة ارتفاع عدد السكان الحضريين - بشكل لافت للانتباه- الذين قدر عددهم بـ ٦٥٠.٠٠٠ نسمة سنة ١٩١٤م^(٩). مما أجبر السلطات الاستعمارية الفرنسية تعمل على التخطيط والتنظيم والتشديد للتحكم في النمو الديمغرافي السريع للراكز الحضرية المغربية آنذاك. وذلك ما يتجلى في إحداث الحماية الفرنسية لعشر مدن جديدة بالقرب من المدن العتيقة الكبرى بهدف ترسيخ الوجود الفرنسي بالمغرب عن طريق "الضبط الأمني للتجمعات الحضرية الكبرى وتسهيل استغلال وترحيل خيرات البلاد"^(١٠).

وقد ارتكزت سياسة المقيم العام الجنرال ليوطي (١٩١٢-١٩٢٥م) لتطبيق سياسته في ميدان التعمير حول العمل على الفصل بين المدينة العتيقة والمدينة الأوربية الحديثة، وإعادة إحياء المدينة عن طريق مداها بالمرافق الضرورية، فضلاً عن تجريب المدن الجديدة. وفيما يخص النصوص التشريعية المرتبطة بحماية التراث خلال عهد الحماية فقد صدر ظهير ٢٦ نونبر ١٩١٢ المتعلق بحماية المعالم التاريخية لبلادنا. وفي ١٣ فبراير ١٩١٤ صدر ظهير شريف آخر أحدث ما يُسمى بـ "مناطق الحماية الفنية". فضلاً عن ظهير ٢١ يوليوز ١٩٤٥ المرتبط بالتعمير وكذلك الشأن بالنسبة لظهير ٣٠ يوليوز ١٩٥٢. وأما في

الإسماعيلية بموقعها الاستراتيجي الهام على شكل هضبة متوسطة الارتفاع بين بداية سلسلة جبال الأطلس المتوسط ومقدمة جبال الريف شمالاً (منطقة زهون)^(١). وقد اكتسى موقع مدينة مكناس أهمية بالغة من الناحية الإستراتيجية والاقتصادية أهلها لتضطلع بأدوار مهمة منذ بداية تاريخها، وعلى مر قتراته المتعاقبة، حيث اعتبرت هدفاً أساسياً لكل الدول المتعاقبة على حكم المغرب، وكذلك المستعمر الفرنسي.^(٢)

٢/١- لمحة تاريخية عن مدينة مكناس

عرفت منطقة مكناس تعاقب عدة عهود، حيث تميز كل عهد عن سابقه كالعهد الإدريسي، المرابطي، الموحدية والمريني وصولاً إلى العهد العلوي الذي عرفت فيه مدينة مكناس أوج ازدهارها خلال عهد السلطان العلوي المولى إسماعيل (١٦٧٢-١٧٢٧م). وفي هذا السياق، فقد كانت مدينة مكناس قبل حكم المرابطين عبارة عن مجموعة من المداين المتفرقة،^(٣) تقع جيلها شمال موقع المدينة الحالية، استوطنتها عناصر بشرية من قبيلة مكاسة الزناتية، أضيفت إليهم عناصر من القبائل وهي: ورزيغة وعويجة. وفي عهد المرابطين تمت السيطرة على مداين مكناس، وذلك بعد تأسيس المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين حصن "تاكراوت"، الذي يعتبر النواة الأولى لمدينة مكناس.^(٤) ومع مرور الزمن أصبحت الحاضرة المكاسية تحتضن عدة أسواق وأحياء ومساجد. وما لا يزال قائماً منها حتى اليوم: حومة ككاوة ودرب الفتيان وغيرها.

وأما في العهد الموحدية فقد دخلت مكناس في مرحلة التمدن والحضارة، فزودت بالماء الذي جلب إليها من "عين تاكرا" وذلك باستخدام قنوات من حجر متقنة البناء توضع في جوفها أنابيب الرصاص لحماية القاطنين بالمدينة من كل دنس،^(٥) فضلاً عن تشييد أربعة حمامات هي: حمام الكدية، حمام المولى عبد الله بن أحمد، وحمام الجديد والحمام الصغير.^(٦) وفي إطار توسيع المدينة وتزويدها بالمرافق العامة والأركان العمرانية، أحدث الموحدون أحياء جديدة، قد يكون من بينها حي سيدي أحمد بن خضراء. فضلاً عن تأسيس دار الأشرف حيث يوجد مقر المشرف على الجبايات.^(٧)

مع حلول العقد المريني اندثرت حواضر مكناس الواقعة على ضفاف نهر ويسلان وبوفكران وتحولت إلى جنات مغروسة، فنزح أهلها إلى المدينة الجديدة للاستقرار في أحيائها، فشرع أبو يوسف في بناء قصبة جديدة بمدينة مكناس وتشديد جامعها المعروف حالياً بجامع للعودة، فضلاً عن تأسيس المدرسة الفيلاية والمدرسة البوعنانية ومدرسة العدول. وقد امتازت

وجميع المعالم الأثرية لمدينة مكناس المقيمة في عداد الآثار بمدينة مكناس تم تدوينها خلال عهد السيطرة الاستعمارية الفرنسية ما بين ١٩١٢ و ١٩٥٦. والجدول الآتي يبين المعالم والمباني والمواقع التاريخية المقيمة في عداد الآثار بمدينة مكناس.

جدول رقم (٢)

المباني والمواقع التاريخية المقيمة في عداد الآثار في مدينة مكناس (١٤)

رقم الترتيب	تاريخ الترتيب	نوع المعلبة	المعالم الأثرية
٤١	١ يونيو ١٩٥٥	مجموعة أثرية	أكداك مكناس
٠٣	١٨ أكتوبر ١٩١٤	باب	باب البرادعين
٠٣	١٨ أكتوبر ١٩١٤	باب	باب بوعمار
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	باب	باب البطويي
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	باب	باب القاري
٠٢	١٨ أكتوبر ١٩١٤	باب	باب القشلي
٠٤	١٨ أكتوبر ١٩١٤	باب	باب الخميس
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	باب	باب القصدير
٠٣	١٨ أكتوبر ١٩١٤	باب	باب الجديد
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	باب	باب كيش
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	باب	باب لالة خضراء
٠٢	١٨ أكتوبر ١٩١٤	باب	باب منصور
٠٣	١٨ أكتوبر ١٩١٤	باب	باب تيزيمي
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	برج	برج بيبي عيشة
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	برج	برج الماء

٣٠ شتنبر ١٩٥٣ فقد صدر ظهير آخر يتعلق بالتجزئيات والتقسيم العقاري^(١١).

٢/٢-الإطار التشريعي للمحافظة على تراث مغرب ما بعد الاستقلال

بعد حصول المغرب على الاستقلال سنة ١٩٥٦، ظل العمل في مجال حماية التراث التاريخي والأثري ببلادنا مستمر بظهير ١٩٤٥ المرتبط بالمحافظة على المعالم والمباني والمواقع والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات وحماية المدن العتيقة والهندسة المعمارية القروية. إلى حدود بداية الثمانينات من القرن الماضي، التي تمت خلالها المصادقة على الظهير الشريف رقم ١٨٠٣٤١ بتاريخ ١٧ صفر ١٤٠١ (٢٥ دجنبر ١٩٨٠)، الذي يتضمن الأمر بتنفيذ القانون رقم ٢٢,٨٠ المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات. ويتكون هذا الظهير من ٦٢ فصلاً^(١٢). والجدول الآتي يوضح الأجزاء المكونة للقانون رقم ٢٢,٨٠:

جدول رقم (١)

مضمون الأجزاء التسع للقانون رقم (٢٢,٨٠)^(١٣)

الجزء	ما ينص عليه
الجزء الأول	أحكام عامة خاصة بالعقارات والمنقولات
الجزء الثاني	تقييد المنقولات والعقارات
الجزء الثالث	ترتيب المنقولات والعقارات
الجزء الرابع	إخراج المنقولات والعقارات
الجزء الخامس	حق الشفعة الخول للدولة
الجزء السادس	حماية التحف الفنية والعاديات المنقولة
الجزء السابع	أعمال الحضر والاستكشاف
الجزء الثامن	إثبات المخالفات وإصدار العقوبات
الجزء التاسع	أحكام مختلفة وانتقالية

ثالثاً: المعالم الأثرية المقيمة في عداد الآثار

في مدينة مكناس وآليات الحفاظ عليها

١/٣-المباني التاريخية المقيمة في عداد الآثار في مدينة مكناس منذ عهد الحماية الفرنسية تم تقييد وترتيب عدد من المباني التاريخية لمدينة مكناس. وتجب الإشارة إلى تقييد المنقولات والعقارات وترتيبها يخضع للنصوص التنظيمية المعمول بها وطنياً.

في مديرية التراث الثقافي والمجلس الإقليمي للمدينة والجماعة الحضرية التي تبحث عن موارد إضافية للترميم وذلك بتخصيص جزء من الفائض في ميزانيتها لإصلاح المآثر التاريخية أو بأخذ قروض أو تلقي دعم دولي من طرف المؤسسات الدولية المهتمة بحماية التراث.^(١٦) وسنعمل في هذا المبحث على إعطاء نماذج لبعض المعالم التاريخية التي شملها الترميم بمدينة مكناس.

(٢/٣) ١- ترميم باب منصور

تم ترميم باب منصور يوم ١٨ نونبر ١٩٩٤، وقد شمل ترميم هذا الباب ما يلي:

- ❖ تبييط وصباغة الواجهات الداخلية للباب باللون الإسماعيلي.
- ❖ ترميم النقوش والزخارف الموجودة على الواجهة الرئيسة للباب.
- ❖ ترميم وإعادة تركيب البوابات الخشبية للباب كما كان الحال عليه من قبل.
- ❖ ترميم بوابات البيوت الداخلية.
- ❖ تزييح أرضية الفضاء الداخلي والخارجي للباب بالزليج التقليدي.
- ❖ ترميم الأعمدة الموجودة داخل وخارج الباب.
- ❖ إنارة فضاء الباب من الداخل والخارج، من أجل تزيينه وإبراز مكوناته الهندسية.^(١٧)

(٢/٣) ٢- ترميم المعالم الأثرية لمدينة مكناس خلال الألفية الثالثة

شملت أعمال الترميم المنجزة لإعادة الاعتبار للتراث التاريخي بمدينة مكناس عدد من المعالم الأثرية للمدينة يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم (٣)

ترميم بعض المعالم التاريخية لمدينة مكناس^(١٨)

التكلفة المالية بالدرهم	العملية
200000 درهم	متحف دار الجامعي
860 ألف درهم	برج بلقاري
300 ألف درهم	باب جامع الأنوار
196 ألف درهم	صومعة جامع السننسي
1697123 درهم	دار الباشوات
600 ألف درهم	مكتبة الجامع الكبير
1200000 درهم	باب المراح

تجب الإشارة في الأخير إلى أن غياب برنامج متكامل لترميم المعالم التاريخية بمدينة مكناس يجعل بعض المباني الأثرية تتعرض للتشويه أثناء ترميمها وهذا ما وقع لباب "كبيش" الذي كان

٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	برج	برج المرس
٠٥	١٨ أكتوبر ١٩١٤	قصر	الدار البيضاء
٠٨	١٨ أكتوبر ١٩١٤	حديقة	جنان بخليمة
٠٦	١٨ أكتوبر ١٩١٤	مربط	مربط مولاي اسماعيل
٢٢	١٧ فبراير ١٩٢٣	فندق	فندق الحناء
١٤	١٩ نونبر ١٩٢٠	مصحة	مستشفى لويس
١٠	٢٣ مارس ١٩١٨	قبة	قبة الخياطين
٢٢	١٧ فبراير ١٩٢٣	مدرسة	المدرسة البوعنانية
٢٢	١٧ فبراير ١٩٢٣	مدرسة	المدرسة الفيلاية
٢٥	٧ يناير ١٩٢٧	مجموعة أثرية	مدينة مكناس
٢٢	١٧ فبراير ١٩٢٣	الكاتب	كاتب المدينة
٠٧	١٩ أكتوبر ١٩١٤	مجموعة أثرية	صهرج السواني
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	مجموعة أثرية	ساحة الهديم
٣٠	٣٠ غشت ١٩٣٢	أسوار	الأسوار المحاطة بأكدال ^(١٥)
٢٢	٣٠ غشت ١٩٣٢	مجموعة أثرية	سقايات المدينة الثمانية

٢/٣-آليات الحفاظ على المباني التاريخية لمدينة مكناس

رغم الإهمال الذي طال العديد من المباني التاريخية المقيدة في عداد الآثار بمدينة مكناس لسنوات، فإن الجهات المعنية بالحفاظ على المعالم الأثرية تبذل جهوداً لإعادة الاعتبار للتراث التاريخي لمدينة الإسماعيلية. وذلك ما يتجلى في أشغال الترميم التي شملت عدد من المعالم التاريخية للمدينة. وبالنسبة للجهات المتدخلة في المحافظة على المآثر التاريخية لمدينة مكناس فإنها تتجلى

الهوامش:

- (١) المصطفى بنفايدة، مكاس جولة في التاريخ والمعالم، شركة الطباعة برانت شوب، مكاس، ط. ٢، ٢٠٠٨، ص ٥.
- (٢) المرجع نفسه، ص ٧.
- (٣) ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكاسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، ط. ٣، ١٩٩٩، ص ١٤.
- (٤) محمد المنوني، "التخطيط المعماري لمدينة مكاس عبر أربعة عصور"، مجلة الثقافة المغربية، ج ٧، ١٩٧٢، ص ٢١.
- (٥) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٣٦.
- (٦) ابن غازي: مصدر سابق، ص ٢٥.
- (٧) مدينة مكاس تاريخ ومعالم، منشورات ودادية رؤساء المصالح الإدارية بمكاس، رجب ١٤٠٨ هـ/ مارس ١٩٨٨، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- (٨) المرجع نفسه.
- (٩) عبد الواحد مهداوي، "حماية التراث العمراني بالمغرب بين المقاربة الدولية والرهانات الوطنية"، مجلة دفاتر جغرافية، العدد ٣-٤، الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، ٢٠٠٧، ص ٨.
- (١٠) المرجع نفسه، ص ٩.
- (١١) المرجع نفسه، ص ٩.
- (١٢) الظهير الشريف رقم ١٨٠٣٤١، بتاريخ ١٧ صفر ١٤٠١ (٢٥ دجنبر ١٩٨٠) يتضمن الأمر بتنفيذ القانون رقم ٢٢،٨٠ المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، الجريدة الرسمية عدد ٣٥٦٤ بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٨١، ص ٧٣.
- (١٣) الجريدة الرسمية، العدد ٣٥٦٤، بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٨١، ص ٧٣. Source: SDAU de Meknés, 1955.
- (١٤) عبد الواحد مهداوي، دليل التراث الثقافي والطبيعي بالمغرب، منشورات مرايا، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٢٠٨.
- (١٥) لقاء مع السيد رئيس مصلحة المآثر التاريخية بالجماعة الحضرية لمكاس، يوم الجمعة ١٨ فبراير ٢٠١١.
- (١٦) باب منصور العليج، معلمة في خدمة الثقافة بمكاس، منشورات بلدية المشور السنينية، شركة دار الصحافة، ص ٧.
- (١٧) "المدوبية الجهوية لوزارة الثقافة". نقلاً عن: جريدة الشرق الأوسط، الأحد ١٨ شوال ١٤٢٣ هـ- ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٢، العدد ٨٧٩٠.

يتوفر على مدخل واحد وبعد أن هدم في دجنبر ٢٠٠٨ أصبح يتوفر على ثلاثة مداخل.

خاتمة

خلاصة القول في هذا المقال، هو أن إعادة الاعتبار للتراث التاريخي والأثري لمدينة مكاس يتطلب القيام بأعمال فورية لترميم المآثر التاريخية وحفظها من الضياع، فضلاً عن تفادي بعض الحوادث المفجعة الناتجة سقوط بعض المباني التاريخية نتيجة الإهمال الذي يطالها. وغني عن البيان أن المحافظة على المعالم التاريخية وصيانتها بمدينة مكاس لن يتم إلا بتعاون جميع الأطراف المعنية، وهي مديرية التراث الثقافي والمفتشية الجهوية للمباني التاريخية والمجلس الإقليمي للمدينة، فضلاً عن الجماعة الحضرية بمكاس ومكونات المجتمع المدني. على اعتبار أن هذه المعالم تعبر عن ذاكرته التاريخية للحاضرة الإسماعيلية وهوية الأجيال السابقة والحالية في الزمن الراهن، كما أن هذه المعالم تشكل قاطرة حقيقية للتنمية المستدامة من أجل الرقي الاقتصادي والاجتماعي لسكان مكاس. لذلك يجب علينا الحفاظ على هذه المآثر التاريخية الثمينة التي تدل على وجودنا التاريخي.